منهج فرات الكوفي (٣٥٢هـ) في التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا إليه من سبيل وصلى الله على نبينا محمد ((صلى الله عليه وآله وسلم)) وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار شجرة النبوة وموضع الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

لا ريب آن تفسير القرآن العظيم علمٌ له منزلة عظمى وأهمية كبرى فهو من اشرف العلوم وأسماها حيث آن موضوعه كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكان رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) المفسر الأول للقرآن ، قال تعالى : (.....وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة النحل٤٤) .

ولما قضى رسول الله الآنسانية ((صلى الله عليه وآله وسلم)) نهض بعده أئمة الهدى ((عليهم السلام)) فكان إمام المتقين وباب علم رسول الله أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ((عليه السلام)) (ت ٤٠ هـ) أولهم قياماً بمهمة بيان القرآن وكشف علومه التي زخر بها لأنه الأعلم بها بعد رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) .

وقد كان الأمامية السباقون في هذا المضمار فخاض المفسرون هذا الميدان وبذلوا جهودهم فيه منذ العصر الأول للإسلام حيث قام العلماء بأخذ علوم القرآن عن الأمام علي ابن أبي طالب ((عليه السلام)) كعلم التفسير وعلم أسباب النزول والمكي والمدني والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وعلم الإعجاز والرسم القرآني ونحوها .

وكان لهم تصانيف في جميع هذه العلوم أمثال عبد الله بن عباس (ت٦٨ هـ) وسعيد بن جبير (ت٩٥ هـ) وعطية بن سعيد العوفي (ت١١١ هـ) وجابر الجعفي (ت١٢٨ هـ) وآبان بن تغلب (ت١٤١ هـ) وتتابع على تفسير كتاب الله المجيد مجموعة من المفسرين وكان منهم علي بن إبراهيم القمي (ت٣٠٧ هـ) ومحمد بن مسعود العياشي (ت٣٢٠ هـ) ومفسرنا الشيخ ابو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي (ت٣٥٢ هـ) وهو من أعلام الغيبة الصغرى وأستاذ المحدثين في

زمانه ، والذي يعد تفسيره مروياً عن الأئمة ((عليهم السلام)) تارةً وأخرى مروياً عن الكتب الحديثية الأربعة لا سيما أن عصره زاخراً بالعلم والعلماء والمحدثين وكانت الكوفة آنذاك من مراكز الحديث والعلم .

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على أربعة مباحث .

تكفل المبحث الأول بنبذه عن حياته وتفسيره .

أما المبحث الثاني فتحدث عن تفسير القرآن بالقرآن .

والمبحث الثالث تحدث عن تفسير القرآن بالسنة المطهرة .

أما المبحث الرابع فقد تناول اعتماده على أسباب النزول .

واهتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها ، وأعقبتها قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث .

والحمد لله على فضله

أ.م.د. عامر عمران الخفاجي

عميد كلية الدراسات القرآنية

((المبحث الأول))

نبذة عن حياته وتفسيره

هو الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي ، ونسبته الكوفي كان من القانطين بها ، وكان رجلاً فاضلاً متمتعاً بأرضية فكرية واجتماعية خصبة مكنته من تأليف هذا التفسير.

تتلمذ الشيخ فرات الكوفي على يد جملة من العلماء والشيوخ يناهزون المائة وأما الرواة عنه فلا يتجاوز عددهم العشرة .

هذا ولم تسعفنا المصادر في العثور على ترجمة فرات الكوفي .

وصف مجمل لتفسيره

يعد تفسير فرات الكوفي من التفاسير القديمة التي روت عن النبي (صلى‌الله‌عليه‌واله‌وسلم) وأهل البيت (عليهم‌السلام) وهو من صنف التفسير بالمأثور لا سيما أن المؤلف من أعلام الغيبة الصغرى .

وضع التفسير على أساس السورة القرآنية في الغالب ولم يتطرق في تفسيره إلى السورة بكاملها بل يختار نماذج منها فمثلاً عندما يبتدأ بتفسير سورة البقرة يبدأ بالآية ٢٥ وفي سورة آل عمران يبدأ بالآية ١٥ .

يقع التفسير في مجلد واحد في (٦٢٢) صفحة وقد طبع هذا التفسير حتى ألان طبعتين ، وكلاهما في طهران / مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي / تحقيق محمد الكاظم .

لقد ركز الشيخ فرات الكوفي في تفسيره على آراء أهل البيت (عليهم‌السلام) حيث قال في مقدمة تفسيره أما بعد فهذا تفسير آيات القرآن مروي عن الأئمة (عليهم‌السلام) :

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) والتحية والإكرام : (انزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع فينا وربع في عدونا وربع فرائض وإحكام وربع حلال وحرام ولنا كرائم القرآن)[1]

---

١) تفسير فرات الكوفي ص٤٦ .

((المبحث الثاني))

تفسير القرآن بالقرآن

وصف العلماء هذا المنهج بأنه اصح الطرق في التفسير حيث قال ابن كثير (فما أجمل في مكان فأنه بسط في مكان أخر وما قيد في موضع فأنه أطلق في موضع أخر)(١)

وقد كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) أول من أرسى القواعد لهذا المنهج التفسيري

وسار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على هذا المنهج وكذلك بعض الصحابة والتابعين .

وورد عن الإمام علي (عليه السلام) (ت٤٠ هـ) انه قال :

(كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض)(٢) .

وقد قال الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) :

(كل ما حكم به رسول الله (ص) فهو مما فهمه من القرآن الكريم)(٣)

وقال السيوطي (من أراد تفسير الكتاب العزيز يطلبه أولا من القرآن الكريم ، فأن أعياه ذلك طلبه من السنة الشريفة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له)(٤)

وقد تبين من خلال استقراء الباحث لتفسير فرات الكوفي انه اعتمد المنهج القرآني بالقرآن في مواضع قليله منها ما جاء في قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة) (سورة النازعات ٧٠٦) .

---

١) القرآن العظيم ، ٤/١

٢) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٢٠٠/٤

٣) شرح نهج البلاغة ، محمد عبده ، ١٧/٢

٤) الإتقان في علوم القرآن ٢٠٠/٤

عن أبي عبد الله (عليه‌السلام) قال الراجفة الحسين بن علي والرادفة علي ابن أبي طالب (عليهما السلام) وهو أول من ينفض رأسه من التراب الحسين بن علي في خمسة وتسعين ألفا وهو قول الله .

(أنا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) (غافر ٥١)(١) .

---

١) تفسير فرات الكوفي ، ٥٣٦-

((المبحث الثالث))

تفسير القرآن بالسنة المطهرة

يطلق علماء التفسير على الأثر الوارد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالمنهج الأثري أو المنهج النقلي[1] .

قال تعالى :

(وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى)(النجم ٣,٤) .

وقال تعالى :

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(النحل ٤٤) .

حيث كان النبي (ص) يبلغ ما يوحى إليه ويبينه قولاً وفعلاً وإقرارا .

---

١) ظ . المبادئ العامة لتفسير القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير ، ٩٤.

ولا شك إن السنة المطهرة مصدراً مهماً في تفسير القرآن وفي هذا قال الشيخ الطوسي

(واعلم إن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (ص) وعن الأئمة (عليهم السلام) وقولهم حجة كقول النبي)(١) .

وفي هذا الصدد قال ابن كثير

(إن أفضل تفسير هو القرآن بالقرآن إلا إذا أعياك ذلك فعليك بالسنة الشريفة فأنها شارحة وموضحة له)(٢) .

وقال السيد الخوئي

(إني كثيراً ما استعين بالآية على فهم أختها واسترشد القرآن على إدراك معاني القرآن ، ثم اجعل الأثر المروي مرشداً على هذه الاستفادة)(٣) .

---

١) التبيان في تفسير القرآن ٠٤/١

٢) تفسير القرآن العظيم ٠٤/١

٣) البيان في تفسير القرآن ، ٠١٣

لقد اعتمد جل المفسرين على ما اثر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وأهل البيت عليهم السلام ، ولقد اعتمد مفسرنا فرات الكوفي هذا المنهج التفسيري فحوى مئات الأحاديث والروايات ومن المناسب هنا عرض بعضاً مما ورد عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

أ- تفسير القرآن بما روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) .

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى .

(إنما أنت منذر ولكل قوم هادً)(١) .

عن فرات الكوفي قال :

حدثنا الحسين بن الحكم معنعناً ، عن عبد الله بن عطاء قال .

كنت جالساً مع أبي جعفر (عليه السلام) قال .

نزل في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال النبي صلى عليه واله وسلم .

أنا المنذر وبعلي يهتدي المهتدون(٢) .

---

١) سورة الرعد ، ٠٧

٢) تفسير فرات الكوفي ، ٠٢٠٥

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى .

(أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)(١) .

عن فرات الكوفي قال .

حدثني محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً عن علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) قال .

قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌واله‌وسلم) .

يا علي إن الله تعالى وهب لك حب المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخوانا ورضوا بك إماما ، فطوبى لمن احبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب عليك .

يا علي أنت العلم لهذه الأمة من احبك فقد أحبني ومن أبغضك هلك .

يا علي إنا مدينة العلم وأنت بابها وهل تؤتى المدينة إلا من بابها (٢) .

---

١) سورة الأنبياء ٠١٠٣.

٢) تفسير فرات الكوفي ،٠٢٦٥.

ومما جاء في قوله تعالى .

(وما على الرسول إلى البلاغ المبين)(١)

عن فرات الكوفي قال .

حدثني محمد بن عيسى بن زكريا معنعناً

عن ابن عمر (رض) قال .

سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌واله‌وسلم) يقول في خطبته .

يا أيها الناس لا تسبوا علياً ولا تحسدوه فأنه ولي كل مؤمن ومؤمنه بعدي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي وأطيعوه لله ولرسوله واستر شدوه توفقوا وترشدوا فانه الدليل لكم على الله بعدي فقد بينت لكم أمر علي فأعقلوه (٢) .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى .

(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون)(٣) .

عن فرات الكوفي قال .

حدثني الحسين بن سعيد معنعناً .

عن أبي سعيد ألخدري (رض) قال : تلا رسول الله (ص) هذه الآية (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) .

ثم قال : أصحاب الجنة من أطاعني وسلم لعلي الولاية بعدي ، وأصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علياً بعدي ، إلا أن علياً بضعة مني فمن حاربه فقد حاربني ، ثم دعا علياً فقال : يا علي حربك حربي وسلمك سلمي وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي(٤) .

---

١) سورة العنكبوت ، ٠١٨

٢) تفسير فرات الكوفي ، ٠٣١٩

٣) سورة الحشر ، ٠٢٠

٤) تفسير فرات الكوفي ،٠٤٧٧

ب – تفسير القرآن بما روي عن أمة أهل البيت عليهم السلام قام أهل البيت عليهم السلام بتفسير الآيات القرآنية في جميع مضامينها وقد استعان فرات الكوفي في تفسير القرآن على رواياتهم المفسرة للآيات الشريفة والتي تعد سمة غالبة في تفسيره ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى .

(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)(١) .

حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي قال :

حدثنا إسماعيل عن زيد بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال .

أرحام رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌واله‌وسلم) أولى بالملك والإمرة (٢) .

وفي قوله تعالى .

(وان تظاهر عليه فأن الله هو مولاه وجبرائيل وصالح المؤمنين)(٣) .

حدثنا فرات الكوفي نعنعا .

عن أبي جعفر (عليه‌السلام) في قوله تعالى .

(وان تظاهرا عليه فأن الله هو مولا وجبرائيل وصالح المؤمنين) .

قال : علي عليه السلام صالح المؤمنين (٤) .

---

١) سورة الأنفال ، ٠٧٥

٢) تفسير فرت الكوفي ، ٠١٥٥

٣) سورة التحريم ، ٠٤

٤) تفسير فرا الكوفي ، ٠٤٨٩

وجاء في قوله تعالى .

(عم يتساءلون عن النبأ العظيم . الذي هم فيه مختلفون)(١) .

حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي .

عن أبي حمزة الثمالي قال :

سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) .

فقال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه :

أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف في جميع الأمم بألسنتها والله ما لله نبئ أعظم مني ولا لله آية أعظم مني (٢) .

---

١) سورة النبأ ، ١-٣

٢) تفسير فرات الكوفي ، ٥٣٣.

((المبحث الرابع))

اعتماده على أسباب النزول

سبب النزول هو (ما نزلت من اجله آية أو أكثر من آية مجيبه عنه أو حكاية له أو مبينه حكمة)[1] .

وله أهمية كبيرة حيث قال الواحدي (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها)[2] .

من ذلك ما جاء في قوله تعالى :

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[3] .

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال نزلت في الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خاصة[4] .

---

١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني، ٧٦/١ ، مباحث علوم القرآن، صبحي الصالح ،١٣٢.

٢) اسباب النزول ، الواحدي ، ١٦.

٣) سورة المائدة ،٥٥.

٤) ظ : تفسير فرات الكوفي ، ١٢٦.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى :

(مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[1] .

عن فرات الكوفي قال : حدثنا الحسين بن سعيد معنعناً .

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال .

نزلت في بني هاشم منهم حمزة بن عبد المطلب وعبيد بن الحارث[2] .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[3] .

قال حدثنا فرات بن ابراهيم الكوفي معنعناً .

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : نزلت هذه الآية في ثلاثة من المسلمين فهم المتقون الذين امنوا وعملوا الصالحات وفي ثلاثة من المشركين فهم المفسدون في الأرض ، فأما الثلاثة من المسلمين فعلي ابن أبي طالب وحمزة وعبيدة ، وأما الثلاثة من المشركين ، فعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وهم الذين تبارزوا يوم بدر فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة[4] .

---

١) سورة العنكبوت ، ٠٥.

٢) ظ : تفسير فرات الكوفي ، ٠٣١٨.

٣) سورة ص و ٠٢٨.

٤) تفسير فرات الكوفي ، ٠٣٥٩.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

(أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)[1] .

قال حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي معنعناً عن حيان عن الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال نزلت هذه الآية في علي وحمزة وعبيدة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمت وأب دجانة[2] .

---

١) سورة الصف ، ٠٤

٢) تفسير فرات الكوفي ، ٠٤٨١

((الخاتمة))

توصلت إلى بعض النتائج وهي كالأتي :

١- يعد عصر فرات الكوفي من أهم العصور المعرفية الإسلامية من حيث كثرة الإنتاج العلمي مع انه من أكثر العصور اضطراباً وخصوصاً في الناحية السياسية والإدارية .

٢- ترجح لدى الباحث إن المصادر والمراجع التاريخية أغفلت الترجمة عن حياته .

٣- من خلال تتبع تفسيره انه كان يحمل علوم أهل البيت عليهم السلام ويؤديها كرسالة وعقيدة

٤- إن منهج الكوفي في تفسيره يعتمد المنهج الروائي وخصوصاً الروايات الصادرة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام ، وان اعتمد في بعض تفسيره على الروايات النبوية التي نقلها أيضا عن طريق أهل البيت عليهم السلام .

٥- يعد تفسير فرات الكوفي من الكتب التفسيرية التسلسلية فأبتدأ بالبسملة وانتهى بسورة الناس ولكنه لم يفسر جميع الآيات .

٦- اعتمد على سبب نزول الآية القرآنية واستخدمها كثيراً في الآيات النازلة بحق أهل البيت عليهم السلام .

((المصادر))

- القرآن الكريم .
- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، شرح الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت .
- ابن كثير ،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- الخوئي ،أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ) ، البيان في تفسير القرآن ، ط٣ ، قم ، ٢٠٠٣م .
- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط٤ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن منشورات الشريف الرضي ، قم ١٤١٥هـ .
- الصالح ، د. صبحي ، مباحث علوم القرآن ، ط٢٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- الصغير ، محمد حسين علي ، المبادئ العامة لتفسير القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت و ٢٠٠٠م .
- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الاسلامي ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
- الكوفي ، ابو القاسم فرات بن ابراهيم (ت٣٥٢هـ) ، تفسير فرات الكوفي ، تحقيق محمد الكاظم ، ط١ ، طهران ، ١٤١٠هـ .
- الواحدي ، ابي الحسن علي بن احمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ، أسباب النزول ،دار الكتب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦هـ .